

نفحات القرآن

[272] وللإيضاح نقول : إنَّ حقيقة العبادة كما نقلنا في بداية البحث في شرح المفردات عن اللغويين هي الخضوع المطلق وغاية التواضع والتذلل أمام المعبود ، وهذا العمل مختصّ بـ [] من وجهة نظر إسلامية ويكون شركاً في العبادة ان كان موجّهاً إلى معبود آخر .

وبعبارة أخرى إنَّ للخضوع والتواضع درجات ، درجة منها تحدث أمام الأصدقاء ويفابلها التكبر عليهم ، ودرجة أخرى تكون أمام أفراد محترمين كالوالدين كما يقول القرآن : (واخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (1) . والدرجة الأكمل تكون أمام الأنبياء والأئمة المعصومين (عليهم السلام) حتّى أنَّ المسلمين لم يحقّ لهم رفع أصواتهم فوق صوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بدليل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) (2) . ولكن آخر مرحلة من الخضوع والتواضع والتذلل التي نطلق عليها كلمة العبادة والعبودية هو (السجود) . وعليه فإنَّ الخضوع المطلق وغاية التذلل (وإن لم يقترن الاعتقاد بالربوبية والمملوكية) يكون عبادة ومختصاً بـ [] ولهذا لا يجوز السجود لغيره . ولصاحب تفسير (المنار) في تفسير سورة الحمد كلام في معنى العبادة ملخّصه : أنَّ العبارة ضربٌ من الخضوع بالغ حدٍّ النهاية ، ناشئ عن إستشعار القلب عظمة المعبود لا يعرف منشأها ، وإعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيّتها ، وقصارى ما يعرفه منها أنَّها محيطة به ولكذّها فوق إدراكه ، فمن ينتهي إلى أقصى الذلّ لملك من الملوك لا يقال أنّه عبده وإن قبّل موطئ أقدامه ، ما دام سبب الذلّ والخضوع معروفاً وهو الخوف من ظلمه العهود ، أو رجاء كرمه المحدود ، اللهمّ إلّا بالنسبة إلى الذين يعتقدون أنَّ لملك قوّة غيبية سماوية _____ 1 - سورة الإسراء :

آية 24 . 2 - سورة الحجرات : آية 2 .